بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد

ثبت عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أنه قَالَ :" الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ الصَّوْمُ فِي الشِّتَاءِ " [1]، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول لأصحابه: " ألا أدلكم على الغنيمة الباردة قالوا : بلى، فيقول: الصيام في الشتاء ".[2]

قال ابن رجب رحمه الله: ومعنى كونها غنيمة باردة أنها غنيمة حصلت بغير قتال ولا تعب ولا مشقة، فصاحبها يحوز هذه الغنيمة عفوا صفوا بغير كلفة.

(1): [السلسلة الصحيحة 1922]

(2): وروي مرفوعا ولم يثبت

وأما قيام ليل الشتاء فلطوله يمكن أن تأخذ النفس حظها من النوم، ثم تقوم بعد ذلك إلى الصلاة، فيقرأ المصلي ورده كله من القرآن وقد أخذت نفسه حظها من النوم، فيجتمع له فيه نومه المحتاج إليه مع إدراك ورده من القرآن، فيكمل له مصلحة دينه وراحة بدنه، [1] ولهذا كان سلفنا الصالحون يستبشرون بقدوم هذا الفصل المبارك، فعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال:"مرحبا بالشتاء، تنزل فيه البركة، ويطول فيه الليل للقيام، ويقصر فيه النهار للصيام"[2]

(1): لطائف المعارف ص: 558

(2): المصدر السابق

والصيام والقيام من أجلّ القربات ومن أسباب نيل الرفعة في الدرجات، فأما قيام الليل فهو دأب الصالحين وبه أوصى أشرف المرسلين فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه ، عَنْ النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلْإِثْمِ " [1] وقيام الليل من أفضل الصلوات بعد الصلاة المفروضة قال رسول الله ﷺ : " وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ ؛ صَلَاةُ اللَّيْلِ ".[2]

(1): أخرجه الترمذي

(2): رواه مسلم

وأما الصوم فلعظيم منزلته عند الله عَزَّ وجَلَّ؛ فقد أخفى أجره عن عباده قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، هُوَ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ..." (1) وعند ابن ماجه: " كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، يَقُولُ اللَّهُ : إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ : فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ "

(1): أخرجه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم

فحري بالمؤمن أن ينتهز هذه الفرصة المباركة فيبادر إلى الإكثار من الطاعات ويجتنب المحرمات فإنما هي خطوات يمشيها العبد إلى قبره والله أعلم متى تنتهي هذه الخطوات، قال الحسن رحمه الله: " يا ابن آدم إنما أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك " وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

غنائم الشتاء

إعداد:
قناة التوحيد لنشر العلم النافع

